

دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"

د. عبد الصمد جلايلي

ملخص البحث

يعدّ المكان ذا أهمية كبيرة عند إبراهيم الكوني من حيث الشكل والمدلول، إذ نجده يصف في كل رواياته، كل مكان حسب تفاصيله بدقة متناهية، حيث سنحاول الاجابة في هذه الورقة عن الاشكالية التالية: ما دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"؟ حيث تطرقنا إلى عدة أماكن في مختلف رواياته وهي: الصحراء، والخيمة، والكوخ، والجامع، والجبل، والمغارة، وغيرها من الأماكن التي كان لها دلالات مختلفة في رواياته وهي: البئر، والواحة، وأخبار الطوفان. الكلمات المفتاحية: المكان؛ الصحراء؛ الفضاء؛ الخيمة؛ البئر.

Abstract :

The place is considered of great importance to Ibrahim Al-Kony in terms of form and significance, as we find it describes each place according to its details very precisely, Where we will try to answer in this paper the following problematic: What is the significance of the place in the novels of "Ibrahim Al-Kony"? Where we touched on several places in his various novels, namely: The Desert, The tent, The hut, The mosque, The mountain, The cave, And other places that had different meanings in his novels: the well, the oasis, and the news of the flood.

Keywords: : The place - The desert - The space - The tent - The well.

المؤلف المرسل: عبد الصمد جلايلي

للمكان أهمية كبرى في أعمال "إبراهيم الكوني"، ونظرا لهذه الأهمية في الدرس النقدي الأدبي سارع كثير من الدارسين إلى قراءتها ونقدها، ومن النقاد الذين كان لهم دراسة نقدية متميزة هو "بلسم محمد الشيباني" في "رباعية الخسوف"، الذي يرى أن أول مقارنة مكانية هامة هي مقارنة الناقد "سمر روجي الفيصل"، هذه المقاربة المكانية التي دارت حول رواية "حقول الرماد" للكاتب "أحمد إبراهيم الفقيه"، إذ حاول الناقد إعطاء وصف دقيق للمكان، ورسم وصفا متكاملًا لحركة الشخصيات فيه، وكان تأمله دقيقًا للطريق الرابط بين طرابلس وقرية قرن الغزال¹.

وأما الدراسة النقدية التي يقدمها "بلسم محمد الشيباني" بعنوان: "الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي"، "رباعية الخسوف"² لإبراهيم الكوني نموذجًا³، ففيها تصوير للمكان من جانبيه الشكلي والدلالي، يكاد يكون وافيا بالعرض المنشود، ونحن اخترنا من أمكنة مما ورد في روايات في "إبراهيم الكوني" نراها جديرة بالذكر في هذا العمل الأدبي والنقدي، ومنها:

■ الصحراء:

يمكن تحديد وظيفة "الصحراء" في توجيه حركة الشخصيات، إذ دفع فضاء الصحراء الشخصيات إلى الواحة، ومنها إلى فضاء الرملة، فما جفاف ماء البئر من الصحراء إلا سبب رئيسي في إلزام الشخصيات على ترك الصحراء، وانتقالهم إلى فضاءات أخرى، بحثا عن الماء والكلا، وسعيا لعيش أفضل، مع تطلع هذه الشخصيات الدائم إلى العودة لذلك الفضاء الصحراوي الذي ألفوه، بل لم يفكروا في غيره من فضاءات العيش.

وللصحراء دور في تحكم حركية الأحداث، إذ بدت الصحراء القاعدة التي بنيت عليها سلسلة من الأحداث، من حيث تغير طبيعة المكان، بانتقال القبيلة لفضاءات أخرى، وما تطلبه ذلك الانتقال من تغيير في سلوكيات الشخصيات، وتصرفاتهم، وحتى مواقفهم⁴.

والصحراء أيضا بوصفها فضاء خارجيا وعاريا وممتدا تستوعب الشخصيات في حال يقظتها وصحوها، فإنها أيضا تتلقف الشخصيات، وتحتضنها حتى في حالات النوم، فهذا "غوما" أحد أبناء الصحراء لا ينام هنيئا في فضاء داخلي مغلق، لأن «النوم يهجر عينيه عندما ينام تحت سقف ويحل محله الأرق والسهر، حتى في الزمان القديم عندما لجأ إلى الواحات باحثا عن نفسه بين دفوف دراويش الطرق الصوفية كان هذا الأرق الوحشي يراوده كلما نام بين الجدران والبيوت المسقوفة، ويستلقي في الخلاء تحت السماء العارية الصافية المرصعة بالنجوم»⁵، بل إن "غوما" لا يتمكن من النوم إلا في فضاء الصحراء مفتوح يوحى إليه بالراحة والاطمئنان.

إن الصحراء في تواصلها مع السماء تعطي بعدا دلاليا نحو اكتساب فضائها معنى التسامي والتعالي، ومن جانب آخر فإن ما تتميز به الصحراء من اتساع كبير يمنح الشخصية حدودا قصوى من التحرك، ليست هي القيود التي تفرضها الفضاءات الضيقة، فبقدر ما تتسع الصحراء بقدر ما تتحرر فيها الشخصيات من حدود أفعالها في ذلك الفضاء، ونتيجة لهذه الحرية تكون الصحراء مرادفا للحياة، ومرادفا للموت أيضا، فتكون مرادفة للحياة للشخصيات التي تعيش في الصحراء، فهنا تكون الصحراء مرادفا للحياة مرة، وللموت مرة أخرى، ولكنها تقيم ذلك التواصل مع الحرية، لا تنسف الحياة، ولا تستدعي الموت، وإنما تجعل الموت شبعا يترصده بخطر العيش حياة كل من اختار الصحراء، إلا أن الصحراء في نظره رهانا للحرية والعافية⁶، وأما الشخصيات التي ليست من أهل الصحراء، فلا تكون الحرية التي يطرحها فضاء الصحراء إلا مرادفا للموت، فلا يمكنه تحمل فضاء الصحراء، أو العيش فيه، وهذا ما جسده "الحكمدار"⁷.

■ الخيمة:

الخيمة هي المستقر المحبوب لأهالي البادية وبدو الصحراء، وهي الفضاء المفضل لسكانهم، وهي فضاء ذو صلة حميمة بكل أهالي القبيلة، ولا سيما بالشيخ "غوما" نفسه حيث ظل متمسكا بالخيمة، غير قادر على التنازل عنها، ولم يعرف الشعور بالاستقرار إلى نفسه سيلا⁸. ولعل الوظيفة الأساسية التي يحققها فضاء الخيمة لبدو الصحراء هي قدرة الخيمة على الاحتماء من حرارة الشمس، وليست القدرة على توفير الأمان، فهذا هم سكانها قد « اعتصموا بالخيمة حتى تزحزحت الشمس وتخلت عن موقعها العمودي فخرجوا إلى السهل مع العصر »⁹. وفضاء الخيمة له دور أساس في حياة البدوي، إذ يحتوي على احتواء أشياء معينة تتميز بحميميتها، ولا توجد إلا في مواضع معينة من الخيمة، وذلك هو ركن الخيمة الذي يختص باحتضان المهم بالنسبة للقبيلة، فهو موضع إعداد الشاي « في ركن الخيمة جلس "اخنوخن" ابن الشيخ "جبور الأكبر" بمزج الجمر الحاي تحت وعاء الشاي بمروحة مصنوعة من سعف النخيل »¹⁰، وركن الخيمة له دلالة العجيبة، وهي المتعة التي لا يتذوقها إلا الذين يعيشون في الخيمة، حيث المكان الذي توضع فيه أنواع الأطعمة، وكل ما لذ منه وطاب، فضلا عن الأمتعة المخزونة فيه.

■ الكوخ:

الكوخ يعتبر شكلا من أشكال البيت، سواء كان من جريد أو من غيره، « فالكوخ الذي ينبع من تشكيلات الفضاء البدائي يصبح إشارة إلى رمزية للمدى الزمني الذي اقتضى وجوده، وتطلب الحضور الإنساني له »¹¹، ولكنه لم يستعمل للدلالة على الأمان والطمأنينة، بل اعتبر "إبراهيم الكوني" الفضاء معاديا غير مرغوب فيه، فهذا الشيخ "غوما" لم يضطر إلى استخدام الكوخ، أو اللجوء إليه، على الرغم من أنه أجبر على موافقة طلب الأهالي في بناء كوخ له عند انتقالهم إلى السهل الرملي، لكن لم يستخدم ذلك الكوخ أبدا، ولم يَمَّ فيه ليلة واحدا¹²، مبررا ذلك

دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"

بقوله: « هذه زريبة تصلح لإيواء الأغنام يا شيخ "أهر"، ولا يليق بأهل الصحراء أن يحشروا أنفسهم في هذا الحبس، وقد تعودوا على العراء الفسيح، وفضاء الله الواسع »¹³ .

يأتي الكوخ في نمط مغاير لصورته الطبيعية حين يفقد صفته الأولى على أساس أنه فضاء داخل ذو صلة بالانغلاق، ويتحول إلى فضاء داخل منفتح يغيب فيه الشعور بالأمن والاطمئنان، حيث تقوم الحيوانات الجائعة بالتهام الأكواخ فتغير معالمها، وتنقل دلالتها من مستوى إلى آخر¹⁴، « وقد وقعت أكثر من حادثة عندما صحا صاحب البيت ووجد نفسه في كوخ مسقوف بالسماء، ومحاط بهيكل من الأعواد العارية بعد أن التهمت الإبل السعف وأوراق النخيل، مما اضطر أبناء القبيلة للتفكير جديا في إيجاد حل يكفل للأهالي طرد الحيوانات النهممة، وإبعادها عن التسكع بجوار الأكواخ »¹⁵.

كما نجد أن العقارب قد أعطت للكوخ صورة ودلالة مرهوتين بالحضور الإنساني فيه، نتج عنهما تقدم تلك الدلالة نحو تعميق صفة (الداخل). وإعطائه قيمة سلبية يتحقق مؤداها بإلقاء تبعة وجود العقارب داخل الأكواخ على أفعال الشخصيات¹⁶، فنجد الشيخ "غوما" يعلن « لأهالي قبيلته بأن العقارب ما هي إلا عقاب رباني على آثام ارتكبتها، كما يخبرهم بأن الحشرة السامة وَجَدَتْ في الأكواخ المناخ الملائم للتناسل والتكاثر »¹⁷، فالكوخ في هذه الحالة فضاء سلبي، لأنه ألزم الإنسان أن يهجره، وفسح مجاله لاقتحام العقارب والحشرات السامة، ومن جانب آخر إن القيمة السلبية الأخرى لهذا الفضاء هي كون الكوخ يحتوي على ممتلكات الإنسان ومقتنياته التي ليست إلا سبيلا لعبودية الإنسان للمكان الذي يجبره على البقاء، ويمنعه من حرية التنقل، فليس الكوخ كالخيمة باختصار.

■ الجامع:

أو المسجد هو المكان المقدس عند المسلمين، ويشيد عادة بسواعد أبناء القرية طوعاً، ويسهم المحسنون بأموالهم في بنائه طمعا في الثواب من الله، ورجاء في الجنة، وفي الجامع يكتب تاريخ القرية بعيدا عن التشويه والتزوير، « يراهن على المتطوعين الذين يتسللون، خلسة إلى الجامع يكتبون بخطوطهم الرديئة وقائع الواحة في صفحات المخطوط الضخم المغلف بجلد الماعز، المحفوظ بين الكتب القديمة على الرف المجاور للمنبر، هناك يكتبون الحقيقة »¹⁸، وهو الفضاء الذي تعقد فيه العقود الدينية والاجتماعية، والكلمة فيه قوية معتبرة لها نفوذها وقرارها المتين، فهو المكان الذي ترصد فيه أحداث الواحة، وتسجل فيه وقائع القرية، على أكمل تصوير للأحداث، فهو الفضاء الوحيد الذي يملك هذا الدور وبسلطة أعلى، وهو المكان الذي يحمل تاريخ وأحداث الواحة¹⁹، فالجامع فضلا عن تأدية الطقوس الديني والاجتماعية، هو مكان لفك العزلة على السكان، ووسيلة للتعارف بينهم، وتمتين الصداقات، مثل ما كان بين الشيخ "غوما" و"آجاز". لأن جميع الأمكنة التي تتمتع بالطقوس الدينية تكتسب صفة الإخلاص والصدق وهذه الصفات نفسها تنعكس إيجابا على الشخصية الواقعة فيه، لذلك نعتقد أن المرতادين على الجامع يتحلى بالصدق والإخلاص أيضا، لأنه ينطبع في الذهن أن ما نعرفه عن المكان هو جزء لا يتجزأ مما نعرفه عن الشخصية التي تتحرك أو تستقر فيه، وكذا الفعل الذي يأتيه في هذا المكان²⁰.

■ الجبل:

أعلى ارتفاع وصلت إليه الشخصيات في الرباعية هو الجبل، فأول وظيفة حققها الجبل بوصفه فضاء مرتفعا تعود إلى الدور الدفاعي والأمني الذي قام به لصالح القبيلة بأكملها، لجأت إليه في حروبها، فبدأ كأنه فضاء عمومي يقدم وظيفة جماعية²¹، ففي رواية "إبراهيم الكوني" يستعد الرجال إلى ركوب الجبال دفاعا عن أنفسهم وعن القبيلة، إذ « بدأ الأهالي يلجأون الى جبال أكاكوس »²²، خوفا من الأعداء، بل أصدر الأمر إلى القناصة باعتلاء الجبل حيث قال: « ينبغي

دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"

أن تأمر القناصة بالصعود منذ الآن، عليهم أن يأخذوا أماكنهم فوق قمم الجبال»²³، لقد كانت الجبال خيارها الذي لا يخذلها، ومنقذها من قبضة الفناء والموت، « لولا الجبال لأبادوهم جميعا»²⁴، فبالجبال تحقق النصر، حيث كلما كانت الجبال أكثر منعة بثباتها وارتفاعها كان الاعتماد عليها سبيلا لتحقيق النصر، وهذا ما ميز جبال "الهوجار" « قولوا له إن جبال "الهوجار" المنيعة ستكون ساعده الأيمن في هذا العمل، إنني أعرفها وأخيرها جيدا، رجل واحد خلف صخرة في جبال "الهوجار" يستطع أن يبيد فيلقا كاملا»²⁵، فالجبال في الصحراء خاصة تساعد على الحيطه والحذر لمواجهة العدو، « على المرتفعات الجبلية يمكن مشاهدة قوات العدو بالعين المجردة»²⁶، ومن مسافات بعيدة، فتعد له ما استطاعوا من العدة، قصد التغلب وإلحاق الهزيمة بالعدو.

كما للجبل فضاء ممتع، وطقس منعش، فهذا "آيس" يفضل الجبل على السهل لعامل الطقس لأن « نسيم الشمال منعش فوق الجبل، أفضل من الجحيم الذي يجيم على البيوت في السهل»²⁷، وللجبل في الصحراء متعة السمر، ففي الليل يعتلى « الشباب قمة الجبل الرملي المهيب واطرحوا على الحبيبات الذهبية الباردة»²⁸، وفي الجبل أيضا تبرز دلالة السمو والرفعة التي تتحقق للشيخ "غوما" صفة الارتفاع الموجودة في الجبل²⁹، حيث يعلن الشيخ "غوما" بأنه « لا بد للمرء أن يدفن ضعفه في مكان ما»³⁰، فالجبل فضاء للدفاع عن النفس، وعن القبيلة أيضا، كما أنه فضاء للمتعة والسمر، وفضاء ورمز للسمو والكبرياء.

■ المغارة:

تعتبر المغارة فضاء مغلقا، وهي مقترنة في رواية "إبراهيم الكوني" بالعراف "مَهْمَدُو" إذ لا تعرف إلا به، ولا تحدد هويته إلا بما³¹، ففيها يقول الراوي: «منذ متى يقيم العجوز "مَهْمَدُو" في تلك المغارة؟ منذ متى وهو يتخذ من ذلك الكهف الموحش المحفور في قمة الجبل مأوى؟ لا أحد

يستطيع أن يجيبك على هذا السؤال، في كل الواحة دون أن يلجأ إلى الأساطير التي ورثها عن جده، أو سمعها من أبيه، أو أمه، لأن تاريخ المغارة هو تاريخ حياة العجوز»³²، بل تاريخ المغارة تاريخ أسطوري بامتياز، لأن هذه "المغارة تقوم في قمة المرتفع الجبلي المغطى بالجماجم وعظام البشر من القمة حتى الحضيض، وترقد في جبهته الجنوبية المقبرة الجديدة، ومن المرجح أن يكون المرتفع قد قام نتيجة تراكم الجماجم والجتث على مدى مئات أو ربما آلاف السنين التي شهدت فيها الواحة معارك دامية وغزوات وحشية، تهيء من الشمال أو من حملات قبائل الصحراء بالجنوب، ويدل أولئك الذين يقولون: إن المرتفع الجبلي قطعة من الجماجم بانتشار عظام الموتى من الكهف في القمة حتى أعتاب الجبل عند المقبرة الحديثة، مروراً بالسفح متناثرة هنا وهناك، حتى أصبح ارتطام الأقدام بالجماجم أمراً عادياً، وكثيراً ما يلجا الأطفال إلى التراشق بقطع كاملة من الجماجم أو بتلك الأجزاء من العظام التي لم يأكلها التراب، وتطل رؤوس الموتى من جدران الكهف، وتتناثر أطراف البشر في أماكن مختلفة من المغارة»³³.

ومن ملامح فضاء المغارة خصوصية هذا الفضاء المرتفع دون غيره، كما يضبط العلاقة التي تربط الشخصية بفضائها، فالمغارة توجد في قمة الجبل، وهذا يمنحها دلالة العلو، ويعمق سمة الارتفاع، إذ ليس العيش في القمة كالعيش في غيره من واطع الجبل³⁴، كما أن فضاء المغارة مستغرق في الموت، وان كل شيء فيه يقيم وجوده من تراكم زوال البشر الذين توزع حضورهم بين جماجم وعظام وأطراف وجتث.³⁵

كما أن هذا الفضاء المرتفع يتحقق فيه الشخصيات الميتة، وتمثلها تلك الجتث والهياكل العظمية المنتشرة، ويتحقق فيه أيضاً الشخصيات الحية، وتنحصر في شخصية العراف "مَهْمَدُو" والأطفال، وبتلاقي هذه الشخصيات جميعاً صنعت الحياة في فضاء المغارة وجبلها³⁶، فهذه المغارة التي اختارها "مَهْمَدُو" ليست فضاء مباحاً لممارسة أي فعل، أو فضاء عاماً لكل البشر، إنها موضع

لتهديب النفس، والانقطاع عن الناس، وهو أنسب مكان لمن ينشد العزلة ويسعى لاكتشاف كنوز الروح وترويض النفس.

■ المرعى:

كان فضاء المرعى ملجأ لا بديل له لـ"أمستان"، فقد اكتسب المرعى الأهمية القصوى له الذي كان يهرب من رؤية الناس، والتقاءه بهم فلم يجد غير المرعى فضاء يحويه ويضمه³⁷، "كان يصحو عند الفجر، ويلتجئ إلى المراعي ولا يعود إلا مع المساء، أو في قلب الليل، ويحدث أن يفضل إلا يعود، يبقى في المرعى يوماً أو يومين أو حتى ثلاثة أيام متتالية، يتسلى بصيد الطيور البرية أو يتدرب على القنص مهدفاً على الأحجار"³⁸.

■ السجن:

السجن فضاء له حدوده ومعالمه، كما له دلالاته وأهدافه، بني لغرض الحد من همجية البشر، وحيوانية الإنسان، واستقدم لبنائه أمهر البنائين على المعمار التركي العثماني، حيث «تم تشييد هذا السجن بسرعة فائقة، وسخر "سَعَادِي بِكْ" لهذا الغرض خيرة شباب الواحة معتمداً على حكمة أناضولية قديمة مفادها أن أفضل وسيلة لردع العصاة ونشر الطاعة بين الرعية هو إقامة السجون قبل الحصون، وقبل تشييد المساجد والقصور»³⁹، إنها الحكمة من تشييد السجن، في جميع العصور والأمصار، فغاياته قمع الخارجين عن القانون، وردع المجرمين في المجتمعات البشرية.

إن السجن فضاء عقابي أعد لردع الخارجين عن القانون في نظر السلطة الحاكمة، أو على الأقل في نظر من صنع القانون وشرعه، ولكن لم يحسم السجن في الفعل المعارض، أو الحد من الاحتجاج، والرفض لدى السجناء، فهذا "عياش الدّوس" يصرخ في وجه السجنان الذي أراد الاقتراب من "آيس" المريض،⁴⁰ فخاطبه قائلاً: «إياك أن تلمسه، لا تقترب»⁴¹، بل قد يكون

اللقاء بين المساجين عاملا في إدكاء الغضب على سجانهم، ويزيدهم قوة وحدة على الاحتجاج، ورفع المطالب للحكام.

■ المقبرة:

من أنواع الفضاء التاريخي الباطن فضاء المقبرة، ففضاء مقبرة "الجرمانيين" التي يوجد بها الذهب، وهو الفضاء الذي استدعى مجيء موري "يقال إن المحافظ استقدمه خصيصا كي يتولى حفر مقابر "الجرمنت"، ويردد الأهالي همسا ان مهنته الحقيقية ليست البحث عن الآثار، وإنما البحث عن الذهب المدفون في مقابر قدماء الجرمانيين"⁴²، وإن ما يجعلها فضاء تاريخيا باطنا هو ما تخفيه بين تلك المقابر من ذهب وآثار مدفونة يتيح لنا تأويل البعد المركزي الذي ينضوي تحت الفضاء المرجعي⁴³.

■ الوادي:

هو مجرى الماء، ولكن لا يأتيه الماء في الصحراء إلا قليلا، وغالبا ما يكون الجرى جافا، وقد يكون انخفاض الوادي مرتبطا بالاحتقار، ويستوعب ما هو قابل للاندثار والإهمال، ومجرى الوادي وإن كان جافا خاليا من الماء لا يؤمن جانبه، ولا يليق مستقرا لأهالي الصحراء، لأنه يأتيهم على حين غرّة، وبدون سابق إنذار، فيجرفهم ومواشيهم، وإلى هذه الدلالة يشير الشيخ "غوما" في قوله: « الصحراء علمتنا أن نترك أعز ما نملك في قعر الوادي، كي يجرفه السيل، ونلجأ إلى المرتفعات لإنقاذ النفس، والخضوع للامتحان»⁴⁴.

وللوادي قصص أسطورية أيضا في رواية "إبراهيم الكوني"، إذ أن الوادي هو مستقر للأشباح، والشبح في الثقافة الشعبية مرتبط بالجن، وهنا تبرز دلالة الخوف، أي خوف الإنسان من الجن أو الشبح، ويظل الشعور بالخوف مرهونا بالوادي والأشباح، كما هو في تعبير الراوي الذي يعتقد أن « الأشباح تحب أن تستقر في الأودية والسهول، وتلبس أردية مغرية لتخدع بني آدم،

دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"

وتستولي على روحه الساعية لامتلاك الأشياء»⁴⁵، فالأشباح لا تغادر الوادي، إنها تنتهز الفرصة للقبض على الإنسان، لتسلبه ماله، أو متاعه، وقد تسلبه روحه وجسده.

ولا نعتقد أن الوادي هو فضاء لكل الصفات السلبية في جميع أطواره، فقد يكون الوادي موقعا ذا دلالة إيجابية، كما تحققت هذه الإيجابية في اسم "الجعيفري"، حيث ظل الوادي مرتبطا به، فكان "وادي الجعيفري" دليلا للراحة، وطلبا للمتعة، وراحة البال، كما هو واضح في خطاب الشيخ "غوما" للشيخ "أخواد" إذ يقول له: « سوف نستعيد ذكرياتنا أيام الشباب، عندما كنا نتصارع، وتنافس في صيد الغزلان، أتذكر ذلك الربيع السخي في وادي الجعيفري؟ أتذكر مزارع الكما في الحُمادة الحمراء»⁴⁶، فالوادي كان في شباب الشيخين "غوما" و"أخواد" ملعبا، ومكانا للفسحة، وصيد الغزلان، وفضاء لجني ثمر الكما أيضا كما في الحمادة الحمراء، هذه الوظائف كلها كانت للوادي، بما لها من ترفيه وسعادة عند أهالي الصحراء.

■ البئر:

هذا البئر هو المشار إليه في مدينة "أطلانتس"، التي كانت الأسطورة أصلا له، وكانت "تانس" تسعى لإيجاده في الصحراء، عندما أرادت الانتقام لأخيها "أطلانتس" من الصحراء التي قتلت أخاها بعطشها، حيث استدعت المنجمين والعرافين طالبة منهم أن يرشدوها إلى المكان الأصح ليكون نبعا يحول الصحراء أرضا خضراء، ذات أشجار ونبات يجري من خلالها الماء⁴⁷.

وبعد جهد المنجمين والعرافين في تحديد الموقع الجغرافي لموضع البئر» جاؤوها بعد زمن محملين بجرائئ الأرض ورسوم الفلك والكواكب الأخرى، وأجمعوا على أن يتمّ الحفر في نقطة تبعد مسافة شهر ونصف شمال الواحة، تحت الجبل، وأكدوا أن تلك النقطة هي قلب العالم ومركز الكون، كما حدثتهم الكواكب والنجوم»⁴⁸.

إنه تعيين مكان الحفر، ولكنه تعيين بمسافة زمنية، طولها مسافة شهر ونصف الشهر، وله تحديد آخر مقيس بالخطوات، فموضع الحفر ينبغي أن يكون « تحت الجبل على مسافة مائة خطوة من تجمع البيوت يقع البئر "أطلانتس" العريق الذي لا يعرف له أحدٌ تاريخاً »⁴⁹.

وأما تحديد موقع البئر في الأسطورة فكان بعد تشاور "تانس" مع العرافين والمنجمين، فهي التي وضعت خطوطه وصفاته، كما جاءت قرائن الاهتداء عليه، في مستوى لا يقل دقة عن مظهر البحث عنه، ولا ينقصه اهتمام من الطابع التخيلي حين كان لجوء "تانس" إلى خبراء الفلك وكان يمثل الموقع منشأً حقيقياً لهم، لأن البئر كان لديهم بمثابة لحمة اتصال بأفراد القبيلة كلها، بنسائها ورجالها وأطفالها، دون استثناء⁵⁰.

وقد يكون الاتصال بين الشخصيات مصادفة، كما جرى بين "أماستان" و"باتا"⁵¹، وبين "آيس" و"أماستان"⁵²، وقد يكون الاتصال مقصوداً لذاته، كما جرى بين "أخنوخن" و"أمغار"⁵³، وهو ما يعني خصوصية وانفراد بئر "أطلانتس" ببث الأسرار في شكلها المؤكد لحضور البعد الأسطوري للبئر، إنه الموضع المكنون للاحتفاظ بالأسرار والتأملات الخاصة، وإنها الوظيفة الاجتماعية التي يصنعها البئر، والتي تسمح للشخصيات بالاتصال، وبمزاوله ما لا يتيسر حدوثه في فضاء آخر، لما للمكان من نكهة، ولحميمية اللقاء التي تصنعها هذه النكهة، إذا كان للأمكنة نكهة، التي لا يستطيع العلم والتكنولوجيا أن يعوضاها عند الشعوب، كما ورد على لسان "عز الدين المناصرة"⁵⁴.

إحالات البحث:

1- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، مجلس تنمية

الإبداع الثقافي، الجماهيرية، ط: 01، 2004، ص: 93

2 - رباعية الخسوف هي مجموعة من روايات إبراهيم الكوني، وهي: البئر، الواحة، أخبار الطوفان، نداء الوقواق.

دلالة المكان في روايات "إبراهيم الكوني"

- 3 - بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً، ص: 133
- 4- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 144
- 5- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 13-14
- 6- إبراهيم الكوني، نداء الوقواق، ص: 59
- 7- إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص: 259، ويراجع: بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 147
- 8- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 13، ويراجع: بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 139
- 9- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 130
- 10 إبراهيم الكوني، البئر، ص: 33
- 11 - بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، ص: 135
- 12- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، مجلس تنمية الإبداع الثقافي_الجمهورية، ط: 01، 2004، ص: 136
- 13- إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص: 18، ويراجع: بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، ص: 136
- 14- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 136
- 15- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 39
- 16- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 137
- 17- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 248
- 18- إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص:
- 19- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. ص: 160
- 20- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. ص: 161
- 21- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 171
- 22- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، تاسيلي للنشر والإعلام، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1991، ص: 68-71
- 23- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 69
- 24- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 96
- 25- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 33
- 26- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، دار الطاسيلي للنشر والإعلام، ليبيا، ودار التنوير بالمغرب، ط: 2، 1991م، ص: 83
- 27- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 46

- 28- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، تاسيلي للنشر والإعلام، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1991، ص: 264
- 29- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 174
- 30- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 117
- 31- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 174
- 32- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 85
- 33- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 88
- 34- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 176
- 35- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 177
- 36- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 178
- 37- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 149
- 38- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 143
- 39- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 100
- 40- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. ص: 154
- 41- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقواق، تاسيلي للنشر والإعلام، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1991، ص: 33
- 42- إبراهيم الكوني، نداء الوقواق، ص: 75-76
- 43- بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص: 167
- 44- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 254
- 45- إبراهيم الكوني، الواحة، ص: 254
- 46- إبراهيم الكوني، البئر، ص: 110
- 47- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 54
- 48- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 54
- 49- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 45
- 50- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 9
- 51- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 144
- 52- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 173، 176
- 53- إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص: 121، 188
- 54- عز الدين المناصرة، جمرة النص الشعري، مقدمة نظرية في الفاعلية والحداثة، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب، عمان، الأردن، 1995.